المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

رَوَافِدُ المنهجِ النَّفسيِّ في النّقد الأدبيِّ

Tributaries of the psychological approach in literary criticism

بقلم الدكتور

كريم محمد محمد صديق

دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية ـ كلية الآداب

جامعة الإسكندرية ـ جمهورية مصر العربية

الجزء الخامس (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَوَافِدُ المنهجِ النَّفسيِّ في النّقد الأدبيِّ

كريم مُحمّد مُحمّد صدّيق

دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية ـ كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : dockarimseddik@gmail.com

الملخص

يتضمن البحث تعريفا بالمنهج النفسي في النقد الأدبي وإرهاصات ظهوره في الغرب على يد فرويد ومن تلاه من علماء نفس رأوا في النص الأدبي وثقية يمكن أن يستندوا إليها وهم بصدد دراسة النفس البشرية ، ثم تبعهم الأدباء الذين وظفوا نظريات علم النفس في دراسة النص الأدبي ، ثم دلفت إلى بعض ركائز هذا المنهج في تراثنا العربي ، فأشرت إلى وعي كامل بهذا الاتجاه في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتابات النقاد القدماء أمثال ابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة وأبي هلال العسكري وابن رشيق وحازم القرطاجني ممن وعوا بحسهم ضرورة ربط العمل الأدبي بنفسية المبدع ونفسية المتلقي، ثم تبعهم الأدباء الذين وظفوا نظريات علم النفس في دراسة النص الأدبي ، ثم دلفت إلى بعض ركائز هذا المنهج في تراثنا العربي ، فأشرت إلى وعي كامل بهذا الاتجاه في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتابات النقاد القدماء أمثال ابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة وأبي هلال العسكري وابن رشيق وحازم القرطاجني ممن وعوا بحسهم ضرورة ربط العمل الأدبي بنفسية المبدع ونفسية المتلقي .

الكلمات المفتاحية: المنهج النفسي ، النقد الأدبي ، المنهج السيكولوجي ، الاتجاه النفساني .

Tributaries of the psychological approach in literary criticism

Karim Muhammad Muhammad Siddiq
Department of Literary and Critical Studies - Faculty of Arts - Alexandria University - Arab Republic of Egypt
Email: dockarimseddik@gmail.com

Abstract

The research includes a definition of the psychological method in literary criticism and the precursors of its emergence in the West at the hands of Freud and those who followed him from psychologists who saw in the literary text a document that they could rely on while they were studying the human psyche, then they were followed by the writers who employed theories of psychology in the study of the literary text, then Delft To some of the pillars of this approach in our Arab heritage, I referred to a full awareness of this trend in the Holy Qur'an, the hadiths of the Prophet, and the writings of ancient critics such as Ibn Salam Al-Jamhi, Al-Jahiz, Ibn Qutayba, Abi Hilal Al-Askari, Ibn Rasheeq and Hazem Al-Qartajani, who became aware of the necessity of linking literary work to the psyche of the creator and the psyche of the recipient

Keywords: Quranic intertextuality, Quranic verbal intertextuality, Quranic moral intertextuality, the very short story.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى ، لا سيما عبده المصطفى، وآله وأصحابه المستكملين الشرف ، أما بعد ، فلقد أصبح من قبيل المسلمات القول بأن الأدب ظاهرة نفسية ، وقد أدرك هذه الحقيقة منذ زمن بعيد أرسطو وهو بصدد الحديث عن نظرية المحاكاة، والتي اتخذها إطارا شاملا للفنون بعامة ومن بينها بعض فنون القول كالشعر مثلا ، والذي يعد في نظره ظاهرة نفسية تنشأ عند الإنسان منذ الطفولة[١]؛ وذلك نظرًا لوجود نزعتين في الطبيعة الإنسانية ، النزعة إلى المحاكاة ، والنزعة إلى الانسجام والإيقاع .

يقول أرسطو : " ويبدو أن الشعر نشأ عن سببين كلاهما طبيعي، فالمحاكاة غريزة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة كما أن الناس يجدون لذة في المحاكاة ، فالكائنات التي تقتحمها العين تلذ لنا مشاهدتها ، إذا أحكم لنا تصويرها مثل صور الحيوانات الخسيسة والجيف ، وسبب آخر وهو أن التعلم لذيذ لا للفلاسفة وحدهم بل أيضا لسائر الناس " [٢]

والأمر لا يقتصر عند أرسطو على نشأة الشعر ودوافعها النفسية ، ولكن تبدو النوازع النفسية جلية أيضا في عقد الصلة بين موضوع الشعر وطبع صاحبه، وهو بصدد الحديث عن أثر طبع الشاعر في الغرض الشعري الذي يتناوله ، حيث يقول : " ولقد انقسم الشعر وفقًا لطباع الشعراء ، فذوو النفوس النبيلة حاكوا الفعال النبيلة وأعمال الفضلاء، وذوو النفوس الخسيسة حاكوا فعال الأدنياء فأنشأوا الأهاجي بينما أنشأ الآخرون الأناشيد والمدائح " [٣]

---

(١) ينظر – د / عثمان موافي – مناهج النقد الأدبي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ٢٠٠٣م – ص ٤١ .

(٢) أرسطو – فن الشعر – ترجمة عبد الرحمن بدوي – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٥٣م – ص١٣ – ١٤ .

(٣) المصدر السابق – ص١٣ .

ويستمد المنهج النفسي آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي والتي أرسى قواعدها ، وصنع لها الإطار النظري النمساويٌّ سيجموند فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩م) في مطلع القرن العشرين ، وبالتحديد مع صدور كتابه تفسير الأحلام عام ١٩٠٠م ، حيث حاول تفسير السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور) وخلاصة هذا التصور أن في أعماق كل كائن بشريّ رغبات مكبوتة تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك ، ولما كان صعبًا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لا شعوره ، فإنه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة (أحلام النوم – أحلام اليقظة – الأعمال الفنية – هذيان العصابيين) وهكذا نراه يفسر الفن على أنه تعويض لما لم يستطع الفنان تحقيقه في واقعه الاجتماعي واستجابة تلقائية لتلك المثيرات النائمة في الأعماق النفسية السحيقة ، والتي قد تكون رغبات جنسية (بحسب رأي فرويد) أو شعورا بالنقص يقتضي التعويض (بحسب رأي آدلر) أو مجموعة من التجارب والأفكار الموروثة المخزنة في اللاشعور الجمعي (بحسب رأي يونغ)[١] .

ومن هنا يمكن أن نعتبر كل محاولات تفسير الأعمال الفنية وفق أسس نفسية قبل فرويد من قبيل الملاحظات العامة التي لا تؤسس لمنهج نفسي متكامل بل تعتبر إرهاصًا وتوطئةً له ، لكن المنهج النفسي في دراسة الأدب ظهر بعد ظهور علم النفس ذاته .[٢]

والمنهج النفسي بعد إرساء قواعده ظل يتحرك ضمن جملة من المبادئ والثوابت منها[٣] :

---

(١) ينظر د/ يوسف وغليسي – مناهج النقد الأدبي – جسور للنشر والتوزيع – الجزائر – ط١ – ٢٠٠٧م – ص٢٢ .

(٢) ينظر د/ صلاح فضل – مناهج النقد الأدبي – ميريت للنشر والمعلومات – القاهرة – ط١ ٢٠٠٢م – ص٦٦ .

(٣) ينظر د/ يوسف وغليسي – مناهج النقد الأدبي – ص٢٢ .

١- ربط النص بلا شعور صاحبه .

٢- افتراض وجود بنية نفسية متجذرة في لاوعي المبدع تنعكس بصورة رمزية على سطح النص .

٣- النظر إلى الشخصيات الورقية في النصوص على أنهم حقيقيون بدوافعهم ورغباتهم .

٤- النظر إلى الشخص المبدع على أنه شخص عصابي يتسامى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزيٍّ مقبول اجتماعيًا .

وقد استغلت الدراسات الأدبية حقائق علم النفس ونظرياته بكيفيات شتى ومناحي مختلفة نذكر منها[١] :

١- دراسة العملية الإبداعية في ذاتها (سيكولوجية الإبداع) أي ماهيتها النفسية ، ورائد هذا المنحى هو الدكتور مصطفى سويف في كتابه (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصةً) حيث حاول أن يضع تفسيرا لديناميات (طاقة) الإبداع الشعري في حديثه عن العبقرية والإبداع الشعري والسبب في عبقرية الشاعر ومشكلة الإلهام [٢]

٢- دراسة شخصية المبدع (سيكولوجية المبدع) بمعنى البحث في دلالة العمل الإبداعي على نفسية صاحبه ، ومن رواد هذا المنحى عباس محمود العقاد (ت١٩٦٦م) في دراسته لابن الرومي وأبي نواس وإبراهيم المازني (ت١٩٤٩م) ومحمد النويهيّ (ت ١٩٨٠ م) .

٣- دراسة العلاقة النفسية بين العمل الإبداعي والمتلقي (سيكولوجية التلقي أو الجمهور) .

٤- دراسة العمل الأدبي من زاوية التحليل النفسي للأدب، ومن رواد هذا الاتجاه أمين الخولي (ت١٩٦٦م)، ومحمد خلف الله أحمد (ت ١٩٨٣م)، وعز

---

(١) ينظر د/ يوسف وغليسي – مناهج النقد الأدبي – ص٢٣ .

(٢) ينظر د/ مصطفى سويف – الأسس النفسية للإبداع الفني – دار المعارف – مصر – ١٩٥١م .

الدين إسماعيل (٢٠٠٧م)، حيث أوكلت كلية الآداب بجامعة القاهرة إلى كل من أحمد أمين ومحمد خلف الله أحمد مهمة تدريس مادة جديدة لطلبة الدراسات العليا تتناول صلة علم النفس بالأدب ، وفي السنة التالية لهذه السنة نشر أمين الخولي بحثا عنوانه (البلاغة وعلم النفس) في محاولة لتأسيس دراسة خاصة بعلم النفس الأدبي.

وسينتظم حديثي في هذا البحث حول نقطتين، النقطة الأولى: بواكير المنهج في الغرب وكيف أفاد علماء النفس من النصوص الأدبية شعرًا ونثرًا، ونظرتهم للعمل الأدبي على أنه النموذج الأسمى الذي يمكن من خلاله دراسة أنواع شتى من نفوس البشر ، فالعمل الأدبي عندهم عصارة النفس البشرية وخلاصة شعورها، الذي أدى بدوره إلى صياغة نظريات علم النفس مهتدين في صياغتها إلى الأعمال الأدبية كرافد من الروافد، ثم الانتقال إلى النقاد الذين أفادوا من نظريات علم النفس المصوغة مسبقًا معولين عليها في فهم النصوص .

النقطة الثانية: إدراك التراث العربي القديم لقيمة دراسة النفس (نفس المتكلم والمستمع) أثناء اضطلاعهم بدراسة العمل الأدبي ونقده ، أو ما يمكن أن نسميه بروافد الاتجاه النفسي في التراث العربي .

أسباب اختيار الموضوع

لما كان المنهج النفسي وثيق الصلة بتحليل النصوص الأدبية أردت سبر أغواره للوقوف على آليات مهمة رصدها القدماء بداهة في حديثهم عن البواعث النفسية للشعر، كما حرصت على بيان فضل تراثنا على هذا المنهج ؛ حيث قدم صورة شبه متكاملة عن هذا المنهج النقدي

المنهج المتبع في الدراسة

المنهج الذي ارتأيته مناسبًا لهذا الموضوع هو المنهج التحليلي؛ حيث إن البحث سيتطلب قراءة النصوص وتحليلها للوقوف على أصول ونظريات المنهج في تراثنا العربي ؛ وقد حاولت قدر وسعي الإحاطة بكل هذه النصوص .

أهم الدراسات السابقة

١- محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده .

٢- د/ مصطفى سويف – الأسس النفسية للإبداع الفني .

٣- د/ يوسف وغليسي – مناهج النقد الأدبي .

بواكير التنظير للمنهج النفسي في الغرب

شهدت أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر نهضة شاملة في كل مناحي الحياة وكانت هذه النهضة لها أسس وقواعد متينة من علوم المسلمين العرب ، يقول دنيسون رص مدير مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن : " كان العرب وعلى الأخص في إسبانيا (الأندلس) هم الذين حفظوا شعلة الثقافة الإغريقية متقدة خلال العصور الوسطى حين كانت أوروبا مغمورة في ظلام الجهالة، وكانوا هم الذين بلغوا تلك المعرفة لرواد عصر الإحياء "[١] .

ويقول أ. ولف الأستاذ بجامعة لندن : " إن قصة العلم في العصور الوسطى مشابهة بالطبيعة لقصة الفلسفة ، فإن الجهود التي بذلت لحفظ العلم وترقيه إنما بذلها أهل الشرق ممزوجة في الغالب بروح الإغريق القدماء"[٢] ، وهذا التطور الأوروبي الشامل كما يذكر الدكتور محمد خلف الله أحمد " اتجه أولا إلى دراسة المادة ومحاولة السيطرة على الطبيعة حتى إذا جاء القرن التاسع عشر اتجه إلى دراسة ظواهر الحياة أو العلم البيولوجي ثم ما كاد يبدأ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى خطا البحث خطوته الكبرى نحو دراسات النفس الإنسانية في مظاهر تفكيرها وإحساسها وذوقها واجتماعها دراسة دقيقة شاملة وهو ما يعرف بعلم السيكولوجي[٣] .

---

(1) Eastern Art and literature – Sir E. Denison Ross- London-1928-pp51-52 .

(٢) ينظر الترجمة محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – ص٢ .

(٣) المصدر السابق – ص٢-٣ .

هذه المرحلة الثالثة من مراحل تطور العلم والتي عنيت بدراسة النفس أو السلوك الإنساني أخذت تحتك بالأدب احتكاكا عنيفًا كان له أثر حميد في توسيع أفق البحث الأدبي، لقد أولى علماءُ النفس الأدبَ عنايةً خاصة في دراساتهم للسلوك البشري ؛ أليس الأدب أروع ما تنتج النفس ؟ ألـيس وليد الشخصية الإنسانية ؟ أليس المعبر عما تنطوي عليه النفس من شعور وإحساس ؟ ألـيس مظهرا من مظاهر العبقرية والخلق الإنسانيين ؟ ألـيس قارئ الأدب ومتذوقه وسامعه أناسا يحسون ويتذوقون ويعجبون وينقدون ؟

لقد كان احتكاك علم النفس بالأدب احتكاكًا مزدوجًا فكلاهما فاعل ومنشئ لهذا الاحتكاك؛ فعالم النفس يوسع ميدانه ويدرج الإنتاج الأدبي في بحوثه ومناهجه ، والأديب هو الآخر يستعين بنظريات علم النفس في محاولة منه لفهم النص في ضوئها .

يقول عالم النفس السويسري كارل جوستاف يونج (١٨٧٥م– ١٩٦١م): "من الظاهر أن علم النفس يمكن أن يستفاد منه في دراسة الأدب ؛ فإن النفس الإنسانية هي الرحم الذي تولدت منه كل العلوم والفنون ، فلنا أن ننتظر من البحث السيكولوجي أن يشرح لنا تكوين العمل الفني من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن يشرح لنا العوامل التي تجعل من الشخص مبدعا فنيًا "[١] . وهو يرى كأستاذه فرويد أن اللاشعور الفردي يعد من دواعي الإبداع وأسبابه وأن اللاشعور هو المَعين الذي يستقبل كافة الرواسب القديمة والتراكمات الموروثة وتجارب الأسلاف وخبرات الماضي، وإن كان يخالفه في جعل الغريزة الجنسية الباعث الأول على الفن والإبداع[٢].

(١) ينظر الترجمة محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – ص١٠ .

(٢) ينظر محمد دحروج – مناهج النقد الأدبي – ص٨٧ .

لقد كان هناك شيء من الغموض حول العبقرية الفنية ، فالقدماء اعتبروا الفنان ملهَمًا من الله ، ولسنا بصدد الإجابة على هذا السؤال ولكن من المتفق عليه أن العمل الفني هو التعبير الرمزي عن الأحاسيس الداخلية العميقة للفنان، وهكذا يصبح كل عمل فني نوعًا من الإذاعة الذاتية عن الفنان يمكن أن يقرأها أولئك الذين يدركون المغزى الرمزي.

وهذا عالم النفس الإنجليزي سيرل بيرت (١٨٨٣م – ١٩٧١م) يدرس سيكولوجية الفنان ونواحي التأثير الفني من وجهات نظر نفسانية معادلا الربط بين الإنتاج الفني والنواحي العميقة والخفية في منتج هذا الأدب[١] .

ويعضد كلام بيرت ما يقوله عالم النفس الإسكتلندي أوبرت لويس ستيفنسون (١٨٤٠م – ١٨٩٤م) : " إن العمل الحقيقي يقوم به مساعد غير منظور أبقيه أنا في حجرة عالية مغلقة يقوم به أولئك الناس الصغار في الدماغ الذين ينجزون لي نصف عملي وأنا مستغرق في نومي، وربما أنجزوا النصف الباقي وأنا مستيقظ تمام اليقظة حيث أظن أني القائم بالعمل " . وهذا الكاتب الفرنسي فولتير (١٦٩٤م – ١٧٧٨م) وقد جلس ذات مرة في إحدى مقصورات المسرح يشهد تمثيل رواية من رواياته يصيح متعجبا " أحقا أنا الذي كتبت ذلك ". وهذه الروائية الإنجليزية جورج إليوت (١٨١٩م – ١٨٨٠م) تقول : " بأن قد خيل إليها أثناء كتابتها أن عقلًا آخر قد استحوذ على قلمها وسيره " وهذا الأديب الألماني جوته (١٧٤٩م – ١٨٣٢م) يزعم أنه كتب أحسن رواياته وهو في غيبوبة يشبهها هو بحالة النائم الماشي.[٢]

وبعد أن ساق إلينا بيرت كل هذه النقولات يختم بحثه في محاولة الكشف عن ماهية الفن إلى أنه نوع من التعبير عن تجربة، فالفنان ينقل تجربته إلينا ونحن بمساعدة الفنان نحياها مرة أخرى.

---

(١) ينظر محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – ص١٢ .

(٢) المصدر السابق – ص١٣

فمهمة عالم النفس إذن ليست منصبة على دراسة الأديب والعمل الفني فقط، وإنما تتجاوز ذلك إلى دراسة تأثير هذا العمل على السامع أو المتفرج أو المتلقي بشكل عام، أو بمعنى آخر بم يشعر المتلقي عندما يتفاعل مع العمل الفني؟

ثمة قضية أدبية أخرى عالجها عالم النفس بيرت وهي (التجربة الذوقية) حيث تناولها بيرت من منظور نفساني ، ففي الوقت الذي يرى فيه معظم الناس أن الجمال ليس شيئًا مطلقًا وإنما هو نسبي يخضع لعدة عوامل شخصية ، يرى بيرت أن الجمال موضوعي ، ونحن نرى الجمال لأنه هناك ليُرى ، وليس الجمال شيئًا نخترعه بل هو مستقى من الموضوع الجميل[١] .

أما ألفريد أدلر (١٨٧٠- ١٩٣٧م) عالم النفس الإنجليزي ومؤسس علم النفس الفردي، فيرى أن الباعث الأول على الفن هو غريزة حب الظهور أو غريزة الرغبة في السيطرة والتملك، والتي تتولد بسبب شعوره بالنقص، وقد اهتم أدلر بالجانب الاجتماعي ؛ إذ المبدع ليس إنسانا معزولًا عن الجماعة والعلاقات الاجتماعية ، ولعلّ شعور الإنسان بالنقص الذي تكلم عنه أدلر كان سببه اختلاطه بمن حوله وهو في سن صغير ، ويبدأ هذا عندما يدرك الطفل أن من حوله من الناس عندهم قدرة أكبر على العناية بأنفسهم والتكيف مع الآخرين[٢]

أدباء ونقاد أفادوا من علم النفس

يرى (ت . س . إليوت) الناقد والشاعر الإنجليزي (١٨٨٨م – ١٩٦٥م) أن هناك فروعًا أخرى من المعرفة نفترض العلم بها بالضرورة فيما يستخدمه الناقد الأدبي ، ومن ألزم هذه العلوم بالطبع علم النفس ، وعلم النفس التحليلي على وجه الخصوص ، كل هذه الدراسات وغيرها تلمس جوانب النقد وتعالج بعض معضلاته ، فعلى الناقد إذن أن يعرف شيئًا عنها ، والناقد الحديث إلى جانب

(١) محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – ص١٤ .

(٢) ينظر محمد دحروج – مناهج النقد الأدبي – ص٨٦ .

إلمامه بالتصورات الجارية يضم معرفة ما بمجموعة من العلوم وهو يعرفها لا ليؤدي عملها وإنما ليتعاون وإياها وليعرف حدود ميدانه[١] .

أما الناقد الإنجليزي السير (هربرت إدوارد ريد) (١٨٩٣م – ١٩٦٨م) فقد قام بدراسات عملية حيث أفاد فيها من علم النفس في نقده لأدب (ورد زورث) و (شلي) والأختين (شارلوت وإملي برنته) وغيرهم ونشر في سنة ١٩٣٨م مقالات في النقد الأدبي ضمنها مناقشة المنزع النفساني من الوجهة النظرية وبيان الحد الذي يصح أن يذهب إليه الناقد في استعمال تصورات علم النفس وطرقه ، حيث يقول : " فعلم النفس الآن يحتك بميدان النقد الأدبي يهاجمه ويأخذ أسلابه ، ولقد كان من رأيي دائمًا أن واجب الناقد الأدبي في هذه الحالة أن يقتص لنفسه وأن يلتقط من علم النفس أحد أسلحته ، وبهذا اقتربت شيئًا فشيئًا من نوع سيكولوجي من النقد الأدبي لأني تأكدت أن علم النفس – ولا سيما طريق التحليل النفسي – يستطيع أن يمدنا بشروح لكثير من المعضلات المرتبطة بشخصية الشاعر وفن الشعر وتذوق القصيدة " [٢] .

وهو يذكر في آخر المقدمة أنه لا يرغب في أن يجعل الطريقة السيكولوجية في النقد هي الطريقة الوحيدة ولكنه يريد أن يثبت صلاحيتها وأن يشير إلى أننا بمعونتها وهديها نستطيع أن نقدم أحكامنا الأدبية ، فالنقد من وجهة نظره لا يُعنى بالعمل الفني فحسب ولكن بعملية الخلق وبالحالة العقلية عند المنشئ إذ يجيئه الإلهام .

وإذا كان هذا محل اتفاق فليس يدري (ريد) كيف يستطيع الناقد أن يتحاشى الاعتماد على علم النفس العام وإذا اتجه الناقد الأدبي إلى علم النفس دون تحيز فسيجد نتائج مهمة متفقًا عليها من علماء النفس أنفسهم ويستطيع هو أن يستخدمها منتفعًا بها كثيرًا في فهمه للأدب، ويقرر (ريد) أن الناقد إذ يتجه

(١) ينظر محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – ص١٦ .

(٢) ينظر المصدر السابق – ص١٦ .

إلى علم النفس إنما يعزوه لصالح علم آخر ، ذلك هو النقد الأدبي الذي يشمل في الحقيقة ميدانًا واسعا جدًا.(١)

ومن الأدباء الذين أفادوا من علم النفس الأديب والناقد الإنجليزي ريتشاردز (١٨٩٣م – ١٩٨٩م) ؛ حيث استخدم الطرق السيكولوجية في النقد العملي وكانت خطته في ذلك أن يوزع في أثناء محاضراته قصائد مطبوعة من نظم شعراء مختلفي الشهرة والمنزلة ويطلب من الحاضرين أن يعلقوا عليها عليها كتابةً ، وكان من عادته أن يكتم عنهم اسم ناظم القصيدة وأن يطلب إليهم ألا يضعوا أسماءهم على أوراقهم حرصًا أن يظلوا مجهولين حتى يعبروا كما يشاءون عن آرائهم الصريحة ، وقد نشر هذا البحث بكل نواحيه في كتابه النقد العملي ، وفيه يقول (ريتشاردز) : " والعدة التي لا غنى عنها لهذا البحث هي علم النفس وأنا حريص كل الحرص أن أواجه الاعتراض الذي قد يوجه إليَّ من بعض علماء النفس من أن وثائق الإجابات التي جمعتها لا تعطي دليلًا كافيًا على البواعث التي كانت هادي المجيبين في كتابتهم ، وعلى هذا فالبحث سطحي ولكني أقول بأن مبدأ كل بحث يجب أن يكون سطحيًّا، تلك إحدى صعوبات علم النفس"(٢).

ومن ثم نرى التعاضد بين علماء النفس والنقاد في مجال الأدب في محاولاتهم الدائبة لمعرفة العلاقة بين العمل الأدبي من جهة ومنتجه من جهة أخرى، فبالقدر الذي رأى فيه علماء النفس النصوص الأدبية مصدرًا خصبًا لدراسة النفس وأحوالها حيث اضطلع النص الأدبي بإبراز اللاوعي في صورة حسية، رأى نقاد الأدب في نظريات علم النفس حاديًا وهاديًا لتفسير بعض الظواهر في العمل الأدبي كما انتبه لدراسة بواعث القائل وأثر النص على المتلقي.

---

(١) ينظر محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – ص١٧ .

(٢) ينظر المصدر السابق – ص١٩ .

روافد المنهج النفسي في تراثنا العربي

١- روافد من القرآن الكريم

آيات القرآن الكريم التي تشير إلى ذلكم الأثر النفسي الذي يحدثه الكلام في نفس المتكلم والسامع كثيرة ، وأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها، قال تعالى : "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى "(١)

جلس النبي صلى الله عليه وسلم مع كبار رجال قريش وعرض عليهم الإسلام ؛ لأنه رجا من إسلامهم إسلام مكة كلها، وفي أثناء حديثه جاءه عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى يسأل عن بعض أحكام الإسلام، فرصد القرآن الكريم الحالة النفسية للرسول، والتي لم يستطع الرسول صلى الله عليه وسلم كتمانها حتى بدت في ملامح وجهه، وهي رصد لحالة المتكلم النفسية وقتما جاء من يقطع عليه حديثه ويصرفه عن قصده ، حتى أن انزعاجه وغضبه قد بدا ظاهرًا في قسمات وجهه، وهي إشارة لطيفة إلى الأثر النفسي على المتكلم .

وقال تعالى حكاية عن نوح : " وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ "(٢)

فنوح يصنع سفينة كبيرة على اليابس وبينه – كما يبدو – وبين البحر مسافة كبيرة ، مما أدى إلى سخرية القوم من نوح حيث أتى بما يتنافى مع حدود العقل البشري ، ولكن نوح الذي امتلأت نفسه ثقة بوعد الله قاطعهم في حسم بأن السخرية ستنقلب منهم إليهم حينما يأتي أمر الله ، وسخرية الكافرين وثبات نوح وثقته صورتان من صور إشارة القرآن إلى الأثر النفسي .

---

(١) سورة عبس (١- ١٠)

(٢) سورة هود (٣٨ – ٣٩)

وقال تعالى حكاية عن موسى وهارون (عليهما السلام) : " اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى "(١)

ففي الآية تكليف من الله (عزّ وجلّ) إلى موسى بأن يبلغ دين الله إلى فرعون ولكن موسى يخاف من هذا اللقاء بسبب ما اقترفه قبل ذلك، حيث قتل أحد رجال فرعون وفر هاربًا من مصر ، فخاف من ذلك اللقاء ، والآية تبرز الخوف وأثره على نفسية المتكلم ، حيث يعجز الخائف عن الإفصاح عما بداخله ، فكيف يستطيع إقناع السامع بحجته وهو غير قادر على مجرد الحديث أو المواجهة ؟

وقال تعالى حكاية عن المنافقين : " قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا "(٢)

إن المنافق بكل ما احتملته نفسه من كراهية وحقد على الإسلام وأهله، قد حاول أن يخفى مشاعره تلك عمّن حوله من المؤمنين، ولكنه لم يستطع أن يتحكم في فلتات لسانه " وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ "(٣) ، ونراهم في هذا الموقف وقد بدت الكراهية منهم من خلال تثبيطهم للمؤمنين ودعوتهم إلى التخلي عن مناصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والقرآن يرصد حالتهم وما أصابهم من فزع وخوف عندما دعاهم الداعي إلى الجهاد وخوفهم من أن يُجبروا على القتال ، ويرصد

(١) سورة طه (٤٢ – ٤٧)

(٢) سورة الأحزاب (١٨ – ١٩) .

(٣) سورة محمد (٣٠) .

حالتهم بعد ما وضعت الحرب أوزارها، حيث يرمون المؤمنين بأقذع الكلام بلا أي مبرر ، فبرغم محاولاتهم إخفاء كفرهم وبغضهم للإسلام إلا أن هذه النفسية المشحونة بالكراهية لم تسيطر على ألسنتها فخرج كلامهم في كل موقف يخبر عما بضمائرهم.

٢- روافد من السنة النبوية

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شاعرًا، ولكنه كان خطيبًا ، والخطابة أحد أقدم فنون الأدب ، وقد وعى صلى الله عليه وسلم بما حباه الله من عقل ثاقب كل مقومات هذا العمل الأدبي ، فنراه يلفت الانتباه إلى ما ينبغي أن يكون عليه المتكلم من نفس هادئة لا يعتريها اضطراب ولا يخالجها الغضب ، فهدوء نفس المتكلم وانسجام العلاقة بينه وبين جمهوره أحد ركائز هذا الإبداع الفني، لذا نراه يقول:" لا يُبَلِّغني أحَد من أصحابي عن أحدٍ شيئاً، فإني أُحِبُّ أن أخرُجَ إليكُم وأنا سليمُ الصَّدرِ"(١)

فبعض المنافقين كانوا يقعون في النبي صلى الله عليه وسلم أو يطعنون في الإسلام، فيقوم الصحابة بنقل هذا الكلام إلى الرسول ، ولا شك أن لهذا الكلام أثرًا سيئًا على نفسية النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومن ثم يظهر هذا الأثر في حديثه، كما ذكر في الحديث، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخلص من كل ما من شأنه أن يكدر العلاقة بين المتكلم والسامع .

وكما راعى النبي صلى الله عليه وسلم نفسية المتكلم، نظر أيضًا إلى نفسية المستمع فنراه لا يصرح على منبره باسم أحد من مقترفي الذنوب ، بل يذكر الذنب فقط؛ ليحذّر منه دون الإفصاح باسم مرتكب الذنب ؛ لما له – بلا شك – من أثر سيئ في نفس صاحبه، فعن عائشة – رضوان الله عليها – قالت: كان النبيَّ

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) – سنن أبي داود – المحقق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي – دار الرسالة العالمية – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م – ج٧ ص٢٢٤ .

– صلى الله عليه وسلم – إذا بلغَه عن الرَّجُل الشَّيءُ لم يقُل:ما بالُ فلانٍ يقــولُ؟ ولكن يقول:ما بَالُ أقوَامٍ يقولون كذا وكذا؟ (١)

وفي إلماحة إلى تفاوت نفوس البشر وتباين تقبلها لنصوص الشرع يقــول صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْــمِ، كَمَثَــلِ الغَيْــثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْــبَ الكَثِيــرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(٢)

فالنفس البشرية كالأرض ، منها الذي يصلح للحرث ومنها ما لا يصــلح ، وهم مختلفون في تلقي الأمر ، فبعضهم ينتفع وينفع غيره ، وبعضهم ينفع غيره ولا ينتفع ، وبعضهم لا ينتفع ولا ينفع غيره .

٣- مفهوم الشعر

ومفهوم الشعر في التراث العربي نفسه يرجع في أصل معناه اللغوي إلــى عالم النفس الإنسانية ؛ فالشعر من الشــعور والإدراك، قــال ابــن منظــور (ت ٧١١هــ) : " شعر: شَعَرَ بِهِ وشَعُرَ يَشْعُر شِعْراً ، وَهُوَ كَلَامُ الْعَرَب. ولَيْتَ شِعْرِي أَي لَيْتَ عِلْمِي أَو لَيْتَنِي عَلِمْتُ، وليتَ شِعري مِنْ ذَلِكَ أَي لَيْتَنِــي شَــعَرْتُ، وَفِــي التَّنْزِيل: {وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} أَي وَمَا يُدْرِيكُمْ. والشِّعْرُ: مَنْظُومُ الْقَوْلِ، غَلَبَ عَلَيْهِ لِشَرَفِهِ بِالْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ، وإِن كَانَ كُــلُّ عِلْــمٍ شِــعْراً ، وَقَــالَ الأَزهري: الشِّعْرُ القَرِيضُ الْمَحْدُودُ بِعَلَامَاتٍ لَا يُجَاوِزُهَا، وَالْجَمْعُ أَشْــعارٌ، وقائلُــه شاعِرٌ لأَنه يَشْعُرُ مَا لَا يَشْعُرُ غَيْرُهُ أَي يَعْلَمُ. وأَنشد بعضهم :

(١) سنن أبي داود – المحقق شعَيب الأرنؤوط – محمَّد كامِل قره بللي – ج٧ ص١٦٦ .

(٢) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري – صحيح البخاري – المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعــة الأولى، ١٤٢٢هــ – ج١ ص٢٧ .

شَعَرْتُ لَكُمْ لَمَّا تَبَيَّنْتُ فَضْلَكُمْ ... عَلَى غَيْرِكُمْ، مَا سائِرُ النَّاسِ يَشْعُرُ"[1]

فانتقاء العرب لهذا الاسم (الشعر) وجعله عَلَما على هذا الفن فيه إشعار بوعيهم ماهية الشعر وحقيقته وارتباطه الوثيق بخواطر النفس وأفكار العقل، وأن صناعته لا تقوم إلا بمجموعة من المعالجات النفسية المعقدة المختلجة .

٤- مصدر الإلهام عند الشعراء

ثمة قضية نفسية عالجها القدماء في ثنايا حديثهم عن مصدر الإلهام لدى الشعراء ، حيث كان العرب قديمًا يرون أن لكل شاعر شيطانًا يوحي له أو يعينه على نظم القصائد ، وما يعنينا هنا ليس صحة هذا المسلك أو عدمه ، وإنما يعنينا محاولاتهم الدائبة لتفسير تلك الظاهرة المتمثلة في قدرة بعض النفوس البشرية على التحليق في سماء الإبداع الشعري ، هذا الخلق الإبداعي الذي لا يصدر إلا عن نفوس امتلأت موهبة فطرية قادرة على هذه المعالجات الشعرية بين اللفظ والمعنى والنظم والخيال وكل ما من شأنه أن يكون عمادًا لهذا البناء الشعري .

وقد سجلت لنا أشعارهم كثيرا من أسماء شياطين الشعراء ، فشيطان الأعشى يدعى (مِسْحَلا) ، والأعشى يفخر بحسن تلقيه الشعر عنه فيقول :

وما كنت شاحِردا ولكن حسبتُني إذا (مِسْحل) أسدى لي القول أعلق

شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان إنسي وجن موفق

يقول فلا أعيا بقول يقوله كفاني لا عيٌّ ولا هو أخرق[2]

وقد صرح حسان بن ثابت (قبل إسلامه) بأن شيطانه من قبيلة الشيصبان وذلك حيث يقول مفتخرا:

---

(١) جمال الدين ابن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ – ج٤ ص٤٠٩ – ٤١٠ .

(٢) أبو زيد القرشي – جمهرة أشعار العرب – تحقيق علي محمد البجاوي – نهضة مصر – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص٦٣.

إذا ما تَرَعْرعَ فينا الغلامُ فليس يُقالُ له مَنْ هوه
إذا لَم يَسُدْ قبل شدِّ الإزارِ فذلك فينا الذي لا هوه
ولِي صاحبٌ من بني الشِيصبا ن فَطَورًا أقول وطورا هوه(١)

وقد أشارت بعض مصادر الأدب إلى كثير من الأخبار والروايات الدالة على أن هذا التفسير لطبيعة الإلهام الشعري كان هو السائد بين العرب في العصر الجاهلي وظل كذلك حقبة طويلة بعد ظهور الإسلام .

فمن تلك الروايات ما يرويه مظعون بن مظعون عن رجل من أهل الشام أنه قال له : " بينما أنا أسير في طريقي ببقعة من الأرض لا أنيس بها إذ رفعت لي نار فدفعت إليها، فإذا بخيمة، وإذا بفنائها شيخ كبير ومعه صبية صغار فسلمت ثم أنخت راحلتي أنسا به تلك الساعة ثم تحدثنا طويلا إلى أن قلت : أتروي من أشعار العرب شيئا ؟ قال: نعم ، سل عن أيها شئت؟ فقلت : أتحب أن أنشدك من شعري أنا ؟ قلت: نعم فاندفع ينشد لامرئ القيس والنابغة وعَبيد، ثم اندفع ينشد للأعشى ، فقلت لقد سمعت بهذا الشعر ! قال: للأعشى ؟ قلت: نعم ، قال: فأنا صاحبه، قلت: فما اسمك ؟ قال: مسحل السكران بن جندل ، فعرفت أنه من الجن ، فبت ليلةً الله أعلم بها ، ثم قلت له : من أشعر العرب ؟ قال: اروِ قول لافظ بن لاحظ وهياب وهبيد وهادر بن ماهر، قلت: هذه أسماء لا أعرفها، قال: أجل ، فأما لافظ فصاحب امرئ القيس، وأما هبيد فصاحب عبيد بن الأبرص وبشر، وأما هادر فصاحب زياد الذبياني وهو الذي استنبغه .. "(٢)

وقد ظل بعض الشعراء – حتى بعد ظهور الإسلام – يتخذ من نسبة شعره إلى أشعر الشياطين أو أكبرهم ذريعة لافتخاره بهذا الشعر، قال أبو النجم العجلي:

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ – رسائل الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٦٤م – ج١ ص٢٩٩ .

(٢) المرجع السابق – ص٥٠ .

إنّي وكلُ شاعرٍ من البشر شيطانُه أنثى وشيطانِي ذكرٌ[١]

وقال الفرزدق في مدح أسد بن عبد الله :

ليبلغن أبا الأشبال مدحتنا من كان بالغور أو مروى خراسانا

كأنها الذهب العقيان حبّرها لسان أشعر خلق الله إنسانـــا[٢]

وقال الراجز :

إني وإن كنت صغير السن وكان فـــي العين نبوٌّ عني

فإن شيطاني كبير الجـــن يذهب بي في الشعر كل فن[٣]

ويؤيد ذيوع هذا المذهب الذي رسخ في ذهن القدماء بخصـوص ظـاهرة الإبداع الشعري عند الشعراء ومردها إلى إلهام الشياطين ما ذكره عتبة بن ربيعة للرسول صلى الله عليه وسلم حين أتى يفاوض الرسول كي يصرفه عن دعوته ، حيث قال : " .... وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن لا تسـتطيع رده عـن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ..... "

وقد استدل الأستاذ الدكتور حسن طبل بمثل هذه المواقـف فـي معـرض تفسيره تهمة الشعر التي اتهمها الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم ، فمعلـوم أن القرآن لون نثري مباين تماما لصناعة الشعر ، ولكن القاسم المشترك بينهما من وجهة نظر الكفار أن كليهما من وحي الشياطين [٤] (وحاشا للقـرآن أن يكـون كذلك) .

---

(١) عمر بن بحر الجاحظ – الحيوان – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ – ١٤٢٤هـ- ج١ ص١٩٨ .

(٢) المرجع السابق – ج٦ ص٤٣٤ .

(٣) المرجع السابق – ج٦ ص٤٣٥ .

(٤) ينظر – د / حسن طبل – حول الإعجاز البلاغي للقرآن – مكتبة جزيرة الورد – المنصورة – ط١ – ٢٠٠٥م – ص١١٧ وما بعدها.

وروى البخاري من حديث عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «احْتَبَسَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، فَنَزَلَتْ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} (١)

ومما يوحي بأن ثمة إلهامًا يعين الشاعر على نظم الشعر دعاءُ النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت كما جاء في الحديث : " يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ"(٢)

فمعاونة جبريل لحسان وهو ينافح عن دين الإسلام يرسخ فكرة أن هناك روحًا خفية تعين الشاعر على هذا الخلق الإبداعي الذي يتطلب – لا سيما إن كان ارتجالا في الموقف – قدرة فائقة على هذه الصياغة الإبداعية وهي تعالج الوزن والقافية واللفظ والمعنى وغير ذلك .

٥- الطبع والتكلف والبعد النفسي للمتكلم(٣)

ثمة قضية أخرى احتل فيها النظر إلى نفسية المتكلم منزلة كبيرة في أعين النقاد، ألا وهي قضية الطبع والتكلف، فالعمل الفني (لاسيما الشعر) عمل يحتاج إلى صناعة وإجادة يقول الجاحظ "وإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" (٤). وقال محمد بن سلام الجمحي "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم به، كسائر أصناف العلم والصناعات" (٥). وقد نظر نقادنا القدامى إلى الشاعر الذي يجيل النظر في شعره على أنه متكلف، والشاعر الذي ينثال منه الشعر بداهة على أنه الشاعر المطبوع، وهذه النظرة لسنا بصدد تفنيدها هنا،

(١) محمد بن إسماعيل البخاري – صحيح البخاري – ج٢ ص٤٩ .

(٢) المرجع السابق – ج١ ص٩٨ .

(٣) ينظر كتابي – حال المتكلم في الحديث النبوي – دار الأمل – الإسكندرية – ط١ – ص٨٣ – ٨٤ .

(٤) الجاحظ – الحيوان – ج٣ ص٦٧ .

(٥) محمد بن سلّام الجمحي – طبقات فحول الشعراء – ج١ ص٥ .

ولكن كانت العناية والوجهة والقصد إلى رصد ظاهرة العناية بنفسية المتكلم وموقعه من الشعراء المطبوعين أو المتكلفين .

ولندع الجاحظ يحدثنا عن هذه المسألة، حيث يقول: " ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا، وزمنا طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهامًا لعقله، وتتبعًا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره؛ إشفاقا على أدبه، وإحرازًا لما خوّله الله – تعالى – من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلّدات، والمنقّحات، والمحكّمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا، وشاعرا مفلِقا "[1] ، فالنظر كله منصب إلى نفسية المتكلم وعمله في القصيدة، فهذه نظرة بلا شك لا تعتمد على أسس فنية بقدر اعتمادها على النظر إلى حال مُنشئ القصيدة.

وهذا الأصمعي يقول: "زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر"[2] ؛ لأنهم نقحوا أشعارهم ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين[3] . فالجاحظ والأصمعي يعيبان على الشاعر الذي أطال النظر في قصيدته وأعاد صياغتها مرة بعد أخرى حتى تخرج تامة في نظره .

يقول الجاحظ : " لولا أن الشعر كان قد استعبدهم، واستفرغ مجهودهم، حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة، ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الألفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهوًا ورهوًا وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً "[4]. إنها نظرة إلى موهبة الشاعر وقدرته على صياغة القصيدة في سهولة ويسر، و فيها حط من شأن آخر أتعب خاطره وأجهده في اختيار اللفظ .

---

(١) الجاحظ – البيان والتبيين – ج٢ ص٨ .

(٢) الجاحظ – البيان والتبيين – ج٢ ص١٠ .

(٣) ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٣هـ – ج١ ص٧٨ .

(٤) الجاحظ – البيان والتبيين – ج٢ ص١٠ .

يذكرنا هذا بقول مالك بن الأخطل، وكان أبوه قد سمع عن تهاجي الفرزدق وجرير فكلف ابنه أن يتجه إلى العراق ليأتيه بخبرهما، وعندما رجع مالك أخبر أباه وقال: "وجدت جريرًا يغرف من بحر، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر، قال الأخطل: الذي يغرف من بحر أشعرهما" (١).

فالغرف من البحر يدل على انسياب شعره وسهولة الأمر عليه وسرعة القول في كل باب من أبواب الشعر، وأما النحت من الصخر فهو دال على قوة السبك وإحكام البناء الشعري لديه، فهي مقارنة بين شاعر موهوب ألهمته فطرته، وشاعر صاحب دراية بصنعة الشعر، وفي نظري لا يمكننا أن نعيب هذا أو ذاك، وابن قتيبة هو الآخر ينحو هذا المنحى في تعريف الشاعر المتكلف وبيان ماهية التكلف حيث يقول: "فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر"(٢).

فهذا ليس نقدًا لنص بقدر ما هو نظرة لسيكولوجية المتكلم الذي أجال فكره في الألفاظ والمعاني، وأعمل عقله حتى أتم قصيدته على ما أراده، ويكمل ابن قتيبة قائلاً: "والمتكلف من الشعر وإن كان جيدًا محكمًا فليس به خفاء على ذوي العلم، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير، وشدة المعاناة، ورشح الجبين" (٣).

فهو وإن حكم للشعر بأنه جيد، إلا أن نظرته لحال المتكلم ومعاناته في سبك القصيدة جعله يحط من شأنها وشأن قائلها، وإذا كانت هذه نظرته للشاعر المتكلف فنظرته إلى الشاعر المطبوع لم تختلف؛ حيث ركز ابن قتيبة على حال الشاعر ليدلل على جيد شعره، ولست هنا بصدد تصويب الكلام أو تفنيده، وإنما

(١) الجاحظ – البيان والتبيين – ج٢ ص٨٠ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – ج١ ص٧٨ .

(٣) ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – ج١ص٨٩ .

أرصد تلك الظاهرة التي جعلتها بُغيتي، وهي نظر القدماء لسيكولوجية المتكلم في حديثهم عن بعض قضايا نقد الشعر .

يقول ابن قتيبة عن الشعر المطبوع وخصال صاحبه: "والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت في شعره رونق الطبع ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر" (١).

ألم يكن رصد هذه الحالة في الشاعر من التلعثم والتخبط والاضطراب ورشح الجبين والزحير – الذي هو معالجة صعوبة التنفس – رصدًا لنفسية المتكلم عند الحديث؟! بما لا يدع مجالاً للشك في عناية القدماء بالشق النفسي في معالجتهم لقضايا الشعر.

٦- صحيفة بشر بن المعتمر(ت ٢١٠هـ)

قال بشر بن المعتمر(٢) : " خذ من نفسك ساعة لنشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها لك؛ فإنّ قلبك فى تلك الساعة أكرم جوهرًا، وأشرق حسنًا، وأحسن فى الأسماع، وأحلى فى الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل غرّة من لفظ كريم، ومعنى بديع، واعلم أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمطالبة والمجاهدة والتكلّف والمعاودة؛ ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا، وخفيفا على اللسان سهلا؛ وكما خرج عن ينبوعه، ونجم من معدنه.....

فإن ابتليت بتكلّف القول، وتعاطى الصناعة، ولم تسمح لك الطبيعة فى أوّل وهلة، وتعصّى عليك بعد إجالة الفكرة، فلا تعجل، ودعه سحابة يومك ولا تضجر، وأمهله سواد ليلتك، وعاوده عند نشاطك؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة وجريت من الصناعة على عرق؛ وهى المنزلة الثانية، فإن تمنّع

(١) ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – ج١ ص٩١ .

(٢) ذكر كلامه في صحيفته المشهورة أبو هلال – الصناعتين – ج١ ص١٣٤ .

عليك بعد ذلك مع ترويح الخاطر، وطول الإمهال، فالمنزلة الثالثة أن تتحوّل عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفّها عليك؛ فإنك لم تشتهها إلّا وبينكما نسب، والشيء لا يحنّ إلا إلى ما شاكله، وإن كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات؛ فإنّ النفوس لا تجود بمكنونها، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة، كما تجود مع الرّغبة والمحبّة ". (١)

هذه الوثيقة المنسوبة لبشر بن المعتمر أحد أدباء المعتزلة والتي تمثل دستورا وضعه هذا الأديب لكل من يضطلع بالأدب وصناعته قد أولت الجانب النفسي للمتكلم نصيبًا كبيرًا من الاهتمام حيث صدّر حديثه بالنظر إلى الوقت الذي يجتمع في للأديب كامل طاقاته الذهنية والنفسية ، فإن للنفس وقتا يتهيأ لها الإبداع ، وأوقاتا يستعصي عليها ، كما أشار إلى عناية الأديب بمسألة أن يكون أدبه صادرا عن طبعه دون تكلف وهي قضية تمت الإشارة إليها من قبل .

٧- ابن سلام الجحمي (ت ٢٣١هـ) وفكرة الطبقات

بنى ابن سلام كتابه كما يدل عنوانه (طبقات فحول الشعراء) على فكرة الطبقات ، فذكر من شعراء الجاهلية عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء ، ثم أتبعهم بذكر ثلاث طبقات أخرى هي طبقة أصحاب المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية ، وطبقة شعراء اليهود ، ثم جعل شعراء الإسلام في عشر طبقات أخرى منتهيا بذلك إلى أواخر العصر الأموي ، ولم يلق بالًا إلى من نشأ بعدهم من شعراء حتى عصره(٢)

ولعل ابن سلام في إفراد شعراء المراثي بطبقة مستقلة قد رأى في مقومات التقسيم الطبقي (الذي اعتمد على حجم الإنتاج الشعري تارة ، والتقسيم الزمني تارة ، كما اعتمد على مقومات فنية تارة أخرى) إجحافا لهؤلاء الشعراء الذين

(١) المصدر السابق – ج١ ص١٣٤ .

(٢) د/ إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط٤ – ١٩٨٣م – ص٧٩ .

برعوا في لون واحد من ألوان الشعر ، أو أكثروا في هذا الغرض حتى غلب على شعرهم، يقول ابن سلام : " وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات "[١]

وهذا التقسيم يُعنى بالحالة النفسية للشاعر؛ فالرثاء لا يصدر إلا عن قلب مكلوم، ونفس قد امتلأت ألمًا وحسرة، وعاطفة صادقة لا يخالجها أدنى تكلف، فالميت قد قضى نحبه ولم يعد يرجى منه خير أو شر ، " قيل لأعرابيّ : ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق"[٢] وقد وعى ابن سلام هذا الجانب النفسي لشعراء هذا الغرض فأفردهم في طبقة ، فقد تفاعلوا مع هذا الفقد (فقد الأحبة) وصاغوه صياغة صادقة لمست شغاف كل من قرأ شعرهم، فاستمالوا القلوب بشعرهم فشاركتهم نفوس المتلقين هذا الحزن وذلكم الجزع .

٨- إسهامات الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)

عقد الجاحظ فصلا في كتابه (البيان والتبيين) سماه بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه : " وروى الأصمعي وابن الأعرابي، عن رجالهما، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنا معشر الأنبياء بكاء» ، قال ناس: البكء: القلّة، فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام.....قلنا: ليس في ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز في الخلقة، وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا، وقد يكون القليل من اللفظ يأتي على الكثير من المعاني، والقلة تكون من وجهين: أحدهما من جهة التحصيل، والإشفاق من التكلف، وعلى تصديق قوله: " قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ" وعلى البعد من الصنعة، ومن شدة المحاسبة وحصر النفس، حتى يصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة، وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة، وقلة الخواطر، وسوء الاهتداء إلى جياد المعاني، والجهل بمحاسن الألفاظ، ألا ترى أن الله قد استجاب لموسى عليه السلام حين قال: " وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ

(١) ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء – دار المدني – جدة – ط١ – ص٢٠٣ .

(٢) الجاحظ – البيان والتبيين – دار ومكتبة الهلال – بيروت – ط١ – ١٤٢٣هـ – ص٢١٨ .

أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى" . (١)

فالجاحظ يناقش تلكم القضية – وهي قضية ترك فضول الكلام التي هي من شيم الأنبياء ومناقبهم – ويرجع سبب قلة كلامهم إلى ما فطروا عليه من البعد عن التكلف والقدرة على تمييز الوقت المناسب للكلام وترك لغو الحديث وانشغالهم بما فيه النفع وإيثارهم الصمت إلا إذا دعت الحاجة للكلام أو ترجحت المصلحة ، وهو تحليل لنفسية النبيّ الذي عصمه الله من رذائل الأفعال والأقوال .

ثم يقول : " فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبي صلّى الله عليه وسلّم أحق بمسألة إطلاق تلك العقدة من موسى، لأن العرب أشد فخرا ببيانها، وطول ألسنتها، وتصريف كلامها، وشدة اقتدارها، وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصّر عن ذلك التمام، ونقص من ذلك الكمال وقد شاهدوا النبي صلّى الله عليه وسلّم وخطبه الطوال في المواسم الكبار، ولم يطل التماسا للطول، ولا رغبة في القدرة على الكثير، ولكن المعاني إذا كثرت، والوجوه إذا افتنت، كثر عدد اللفظ، وإن حذفت فضوله بغاية الحذف "(٢) .

فمعجزة الرسول معجزة بيانية، وإعجازه كائن في ذلك النص المعجز وهو القرآن الكريم، وقد بعث في جزيرة العرب وجُل بضاعتِهم البيان وفنون القول المختلفة ، فكيف يمنح موسى البيان ويحرم محمد صلوات الله عليهما ، لا شك أن الذي منح البيان لموسى قد وهبه أضعافا مضاعفة لمن بعث في قريش حتى يستميلهم بهذا البيان المعجز الذي عجز الناس أن يأتوا بمثله ، والتحدي باق إلى قيام الساعة .

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ- البيان والتبيين- دار ومكتبة الهلال، بيروت- ١٤٢٣هـ - ج٣ ص٢٦٢ .

(٢) المرجع السابق – ج٣ ص٢٦٣ .

وقال : " والدليل الواضح، والشاهد القاطع، قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «نصرت بالصبا، وأعطيت جوامع الكلم» ، وهو القليل الجامع للكثير. وقال الله تعالى وقوله الحق: { وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ } ثم قال: { أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ } فعم ولم يخص، وأطلق ولم يقيد، فمن الخصال التي ذمهم بها تكلف الصنعة، والخروج إلى المباهاة، والتشاغل عن كثير من الطاعة، ومناسبة أصحاب التشديق، ومن كان كذلك كان أشد افتقارا إلى السامع من السامع إليه، لشغفه أن يذكر في البلغاء، وصبابته باللحاق بالشعراء. ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة، وولد ذلك في قلبه شدة الحمية، وحب المجاذبة..... فنزّه الله رسوله، ولم يعلمه الكتاب والحساب، ولم يرغبه في صنعة الكلام، والتعبد لطلب الألفاظ، والتكلف لاستخراج المعاني فجمع له باله كله في الدعاء إلى الله، والصبر عليه، والمجاهدة فيه، والانبتات إليه والميل إلى كل ما قرب منه، فأعطاه الإخلاص الذي لا يشوبه رياء، واليقين الذي لا يطوره شك، والعزم المتمكن، والقوة الفاصلة "[1] .

وقال " وفي كتاب الله المنزل أن الله تبارك وتعالى جعل منيحة داود الحكمة وفصل الخطاب، كما أعطاه إلانة الحديد، وفي الحديث المأثور، والخبر المشهور، إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: " شعيب خطيب الأنبياء "، وعلم الله سليمان منطق الطير، وكلام النمل، ولغات الجن. فلم يكن عزّ وجلّ ليعطيه ذلك ثم يبتليه في نفسه وبيانه عن جميع شأنه، بالقلة والمعجزة، ثم لا تكون تلك القلة إلا على الإيثار منه للقلة في موضعها، وعلى البعد من استعمال التكلف، ومناسبة أهل الصنعة، والمشغوفين بالسمعة " .[2]

(١) عمرو بن بحر الجاحظ- البيان والتبيين – ج٣ ص٢٦٤ .

(٢) المرجع السابق – ج٣ ص٢٦٥ .

فنحن بلا أدنى ريب أمام قضية قد تم معالجتها من وجهة نفسية ، وهي دليل على استيعاب القدماء لضرورة أن يكون للنفس البشرية الدور الأكبر في صياغة الكلام والقدرة على اختيار الوقت المناسب للكلام أو الصمت واستدعاء ذلك كله في حينه أو حين تواتي الفرصة .

٩- إسهامات ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)

قال ابن قتيبة : " وسمعت بعضَ أهلِ الأدب يذكر أنّ مُقصِّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سببًا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العُمُد فى الحلول والظّعن على خلاف ما عليه نازلة المدر؛ لانتقالهم عن ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبّعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعى به إصغاء الأسماع إليه، لأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب؛ لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام، فإذا علم أنّه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل فى شعره، وشكا النّصب والسّهر، وسرى الليل وحرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حقّ الرجاء، وذمامة التأميل، وقرّر عنده ما ناله من المكاره فى المسير، بدأ فى المديح، فبعثه على المكافأة، وهزّه للسّماح ، وفضّله على الأشباه، وصغّر فى قدره الجزيل "[١]

(١) ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) – الشعر والشعراء – دار الحديث، القاهرة – ١٤٢٣هـ– ج١ ص٧٥-٧٦

لا زالت الأسئلة تترا في كل موقف حول ما يمكن أن يكون دستورا تالدا للشعر القديم، حيث حرص كل الشعراء قديما على السير بوتيرة واحدة ، فالبدء بالغزل عادة لم تفارق الشعراء قديما ثم يردفون ذلك بالبكاء على الأطلال ، ثم يعرّجون على وصف الرحلة وما بها من مشاق وصعاب حتى جاء ابن قتيبة ليحل لنا هذا اللغز وقد أرجع كل هذا إلى نفسية الشاعر كما هو ظاهر في النصوص، ولعل ابن قتيبة من أوائل النقاد العرب الذين خاضوا في هذا المنعطف النفسي وهو يفسر تلكم العادة القديمة في الشعر العربي، والتي كانت قانونا لا يمكن أن يحيد عنه شاعر إلا يجد مفرا من مفارقته ، إن لعمود الشعر قديما من القدسية ما لا يمكن تفسيرها إلا عن طريق تلكم الوجهة النفسية والتي أماطت اللثام عن هذه التساؤلات وأعطتنا إجابة شافية .

قال ابن قتيبة : " وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلّف، منها الطمع ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب.... وقيل للحطيئة، أىّ الناس أشعر ؟ فأخرج لساناً دقيقا كأنّه لسان حيّة، فقال :هذا إذا طمع.....وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبى يعقوب الخريمىّ :مدائحك لمحمّد بن منصور بن زياد، يعنى كاتب البرامكة، أشعر من مراثيك فيه وأجود؟ فقال: كنّا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد "[1] .

وقال ابن قتيبة : " وهذه عندى قصّة الكميت فى مدحه بنى أميّة وآل أبى طالب، فإنّه كان يتشيّع وينحرف عن بنى أميّة بالرأى والهوى، وشعره فى بنى أميّة أجود منه فى الطالبيين، ولا أرى علة ذلك إلّا قوّة أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة..... وقيل لكثيّر :يا أبا صخر، كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال :أطوف فى الرّباع المخلية والرياض المعشبة، فيسهل على أرصنه، ويسرع إلىّ أحسنه.....ويقال أيضا إنّه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشّرف العالي والمكان الخضر الخالي ..... وقال عبد الملك بن

(١) ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) – الشعر والشعراء – ج١ ص٧٩ .

مروان لأرطاة بن سهيّة :هل تقول الآن شعرًا؟ فقال: كيف أقول وأنا (ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه ..... وقيل للشّنفرى حين أسر :أنشد، فقال :الإنشاد على حين المسرّة " [١]

وقال ابن قتيبة:" وللشعر تارات يبعد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريّضه، وكذلك الكلام المنثور فى الرسائل والمقامات والجوابات، فقد يتعذّر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب. ولا يُعرف لذلك سببٌ، إلّا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غمّ ..... وكان الفرزدق يقول :أنا أشعر تميم عند تميم ، وربما أتت علىّ ساعة ونزع ضرس أسهل عليّ من قول بيت....وللشعر أوقات يسرع فيها أتيّه، ويسمح فيها أبيّه، منها أوّل الليل قبل تغشّي الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة فى الحبس والمسير، ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب، ولله درُّ القائل :أشعر الناس من أنت فى شعره حتّى تفرغ منه[٢]".

بعد أن أطال ابن قتيبة النفس في تفسيره لتعدد أغراض الشعر في القصيدة العربية وفق دواع نفسية ، ربط بين الأغراض وسيكولوجية الشاعر ربطًا وثيقًا ، فلا يصدر الغرض الشعري إلا عن نفس دفعها شعور نحو هذا الغرض وحداها الباعث عليه من تلقاء النفس .

١٠- إسهامات علي بن عبد العزيز الجُرجاني (ت ٣٩٢هـ)

نبه القاضي الجرجاني على اختلاف الناس في استعمال اللفظ، فمنهم من يميل إلى اللفظ الوعر الوحشي، ومنهم من يميل إلى اللفظ السهل، وأرجع ذلك إلى نفسية المتكلم والتي شكلتها البيئة التي عاش فيها، فنراه يقول : " وقد كان القومُ يختلفون في ذلك، وتتباينُ فيه أحوالهم، فيرقّ شعرُ أحدهم، ويصلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّر منطقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسَبِ اختلاف الطبائع،

(١) ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) – الشعر والشعراء – ج١ ص٨١ .

(٢) المصدر السابق – ج١ ص٨١ .

وتركيب الخلْق؛ فإن سلامةَ اللفظ تتبعُ سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخِلقة. وأنت تجدُ ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك، وترى الجافي الجِلْف منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعْر الخطاب؛ حتى إنك ربما وجدتَ ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرْسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تُحْدث بعض ذلك؛ ولأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ بَدا جَفا. ولذلك تجد شعر عَديّ – وهو جاهلي – أسلسَ من شعر الفرزدق ورجَز رؤبة وهما آهلان؛ لملازمة عديّ الحاضرة وإيطانه الريف، وبُعده عن جلافة البدْو وجفاء الأعراب، وترى رقةَ الشعر أكثرَ ما تأتيك من قِبَل العاشق المتيّم، والغزِل المتهالك؛ فإن اتفقت لك الدماثةُ والصّبابة، وانضاف الطبعُ الى الغزل؛ فقد جُمِعت لك الرقةُ من أطرافها[1]".

لقد أشار القدماء في معرِضِ حديثهم عن القضايا القديمة في النقد الأدبي إلى الجانب النفسي ، وأثره في إثارة هذه القضية أو تلك ، وعولوا على هذا الأثر النفسي في تفسير تلك القضايا ، ومن بينها هذه القضية وهي إيثار اللين من اللفظ أو القصد إلى الغريب الوحشي ، وهي كما جزموا مردها إلى سيكولوجية المتكلم .

١١- إسهامات أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)

لأبي هلال العسكري كلام فى كيفية نظم الكلام والقول فى فضيلة الشعر وما ينبغى استعماله فى تأليفه حيث يقول : " إذا أردت أن تصنع كلامًا فأخطر معانيه ببالك، وتنوّق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك؛ ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلّبها، واعمله ما دمت فى شباب نشاطك؛ فإذا غشيك الفتور، وتخوّنك الملال فأمسك؛ فإنّ الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضّجر خسيس؛ والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الرّى، وتنال أربك من المنفعة، فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقلّ عنك غناؤها...."[2]

---

(١) علي بن عبد العزيز الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه – تحقيق علي محمد البجاوي – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص١٧-١٨ .

(٢) أبو هلال العسكري – الصناعتين – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العنصرية – بيروت – ١٤١٩ هـ – ج١ ص١٣٣

وينبغى أن تجرى مع الكلام معارضة، فإذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته، أو معنى بديع تعلّقت بذيله، وتحذّر أن يسبقك فإنه إن سبقك تعبت فى تتبّعه، ونصبت فى تطلّبه؛ ولعلك لا تلحقه على طول الطلب، ومواصلة الدأب؛ وقد قال الشاعر:

إذا ضيّعت أول كل أمر ... أبت أعجازه إلّا التواء"[١]

وقالوا : " ينبغى لصانع الكلام ألّا يتقدّم الكلام تقدما، ولا يتبع ذناباه تتبّعا، ولا يحمله على لسانه حملا؛ فإنه إن تقدّم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجفه والشارد منه، وإن تتبعه فاتته سوابقه ولواحقه، وتباعدت عنه جياده وغرره؛ وإن حمله على لسانه ثقلت عليه أوساقه وأعباؤه، ودخلت مساويه فى محاسنه، ولكنه يجرى معه فلا تندّ عنه نادّة معجبة سمنا إلّا كبحها، ولا تتخلّف عنه مثقلة هزيلة إلّا أرهقها. فطورا يفرّقه ليختار أحسنه، وطورا يجمعه ليقرب عليه خطوة الفكر، ويتناول اللفظ من تحت لسانه، ولا يسلّط الملل على قلبه ولا الإكثار على فكره. فيأخذ عفوه، ويستغزر درّه، ولا يكره أبيّا، ولا يدفع أتيا"[٢] .

ومن مجموع تلكم النصوص نرى كيف وعى أبو هلال العسكري أهمية العناية بالوقت الذي تستجيب فيه النفس ، فنبه على الكتابة وقت نشاط الإنسان ، والكف عنها حين يفتر الذهن وتمل النفس ، وهي إشارة تدل على إدراك القدماء لما للحالة الإبداعية عند الشاعر من إرهاصات نفسية تؤهله لهذا العمل الذي يستوجب أقصى درجات الحضور العقلي .

١٢- إسهامات ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)

قال ابن رشيق القيرواني: " وقال بعض العلماء : بني الشعر على أربعة أركان، وهي:المدح،والهجاء،والنسيب،والرثاء، وقالوا: قواعد الشعر أربعة: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع

(١) أبو هلال العسكري – الصناعتين –- ج١ ص١٣٣ .

(٢) السابق – ج١ ص١٣٤ .

الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع[١]"

فنراه قد ربط أغراض الشعر بالنوازع النفسية ، وهو – بلا شك – ربط منطقي ؛ فالمدح والشكر لا يصدران إلا عن نفس راضية يملؤها الإعجاب ، والاعتذار لا يصدر إلا عن نفس استشعرت التقصير في حق صاحب الحق ، والغزل لا يصدر إلا عن نفس تملّكها الحب، والهجاء لا يصدر إلا عن الغضب الذي استجمع في نفس صاحبه حتى لا يجد محيدا عن صرفه بهذه الصورة .

وقال الرماني علي بن عيسى: أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب، والمدح، والهجاء، والفخر، والوصف، ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف..... وقال عبد الملك بن مروان لأرطأة بن سهية: أتقول الشعر اليوم؟ فقال: والله ما أطرب، ولا أغضب، ولا أشرب، ولا أرغب، وإنما يجيء الشعر عند إحداهن.[٢]

قال أبو علي البصير:

مدحت الأمير الفتح أطلب عرفه ... وهل يستزاد قائل وهو راغب
فأفنى فنون الشعر وهي كثيرة ... وما فنيت آثاره والمناقب

فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها. قال عبد الكريم النهشلي (ت ٤٠٥هـ) : يجمع أصناف الشعر أربعة: المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو، ثم يتفرغ من كل صنف من ذلك فنون، فيكون من المديح المَرائي والافتخار والشكر، ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، ويكون من اللهو الغزل والطرد (الصيد) وصفة الخمر والمخمور[٣].

---

(١) ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد– دار الجيل– الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م – ج١ ص١٢٠ .

(٢) ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ج١ ص١٢٠ .

(٣) المصدر السابق – ج١ ص١٢١ .

وقال قوم: " الشعر كله نوعان : مدح، وهجاء، فإلى المدح يرجع الرثاء، والافتخار، والتشبيب، وما تعلق بذلك من محمود الوصف ، كصفات الطلول والآثار، والتشبيهات الحسان، وكذلك تحسين الأخلاق، كالأمثال، والحكم، والمواعظ، والزهد في الدنيا، والقناعة، والهجاء ضد ذلك كله، غير أن العتاب حال بين حالين، فهو طرف لكل واحد منهما، وكذلك الإغراء ليس بمدح ولا هجاء؛ لأنك لا تغري بإنسان فتقول: إنه حقير ولا ذليل، إلا كان عليك وعلى المغري الدرك، ولا تقصد أيضاً بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك على وجهه ". (١)

وفي الجملة فقد استفاض ابن رشيق وشيخه النهشلي في ربط الأسباب بمسبباتها النفسية، وهو توجيه لطيف ينبئ عن وعي القدماء بالأثر النفسي في صدور الأغراض الشعرية على هيئاتها المختلفة وفق نوازع النفس .

١٢- حازم القرطاجنّي (ت ٦٨٤هـ)

قال حازم القرطاجنّي : " فأما طريق التهدي إلى تحسينات الأشياء وتقبيحاتها بالمحاكاة فإنه لما كان المقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح، وجلالة أو خسة، وجب أن تكون موضوعات صناعة الشعر الأشياء التي لها انتساب إلى ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده"(٢) .

فقد ساق حازم جملة من التداعيات النفسية الباعثة على قول الشعر ، من ذلك المحاكاة الداعية إلى تحسين شيء أو تقبيحه ، ومنها حض النفوس على فعل الشيء أو تركه ، ثم نراه قد قصر موضوعات الشعر على كل ما هو من شأنه أن يحرك النفس لفعل شيء أو اعتقاده .

---

(١) ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ج١ ص١٢١ .

(٢) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق محمد الحبيب – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٤ – ٢٠٠٧م – ص٩٦ .

وقال حازم : "إن الحذاق من الشعراء – المهتدين بطباعهم المسددة إلى ضروب الهيئات التي يحسن بها موقع الكلام من النفس من جهة لفظ أو معنى أو نظم أو أسلوب – لما وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال، ووجدوها تستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة إذا أخذ مأخذا واحدًا ساذجًا ولم يتحيل فيما يستجد نشاط النفس لقبوله بتنويعه والافتنان في أنحاء الاعتماد به، وتسكن إلى الشيء وإن كان متناهيًا في الكثرة إذا أخذ من شتى مآخذه التي من شأنها أن يخرج الكلام بها في معاريض مختلفة واحتيل في ما يستجد نشاط النفس لقبوله من توعيه والافتنان في أنحاء الاعتماد به اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها إلى فصول ينحى بكل فصل منها منحى من المقاصد؛ ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول والميل بالأقاويل فيها إلى جهات شتى من المقاصد وأنحاء شتى من المآخذ استراحة واستجداد نشاط بانتقالها من بعض الفصول إلى بعض وترامي الكلام بها إلى أنحاء مختلفة من المقاصد، فالراحة حاصلة بها لافتنان الكلام في شتى مذاهبه المعنوية وضروب مبانيه النظمية "[1].

فنراه هنا يعرض لمسألة نفسية أخرى اعتنى بها الشعراء قديما ، وهي قضية التنقل بين الأغراض في القصيدة الواحدة، ويحاول حازم أن يبرهن لصحة مذهبهم بتحليل نفسي ؛ حيث إن النفس تسأم من الموضوع الواحد إذا طال، وترتاح إلى تعدد الموضوعات لما له من أثر سيكولوجي في دفع الملل، فهذا التنقل بين الأغراض يدفع الفتور الذي قد يصيب القارئ عند الخوض في موضوع واحد دون أن يحيد عنه الشاعر .

(١) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – ص٩٦ .

وقال القرطاجني : " واعتنوا باستفتاحات الفصول وجهدوا في أن يهيؤوها بهيئات تحسن بها مواقعها من النفوس وتوقظ نشاطها لتلتقي ما يتبعها ويتصل بها، وصدروها بالأقاويل الدالة على الهيئات التي من شأن النفوس أن تتهيأ بها عند الانفعالات والتأثرات لأمور سارة أو فاجعة أو شاجية أو معجبة بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك، وقصدوا أن تكون تلك الأقاويل مبادئ كلام من جهة ما نحي بها من أنحاء الوضع أو محكومها لها بحكم المبادئ وإن وصلها بما قبلها واصل لكونها مستقلة بأنفسها من جهة الوضع الذي يخصها، فيكون استئناف الكلام على ذلك النحو وصوغه على تلك الهيآت مجددا لنشاط النفس ومحسنا لموقع الكلام منها"[١] .

وثم قضية نفسية أخرى يشير إليها ، وهي اعتناؤهم بالبدايات حتى تكون باعثة على الانجذاب إلى القصيدة من أولها ، فلا يجد السامع محيدا عن السماع ولا لقلبه مفرا من الإصغاء ، ولا شك أن هذا العامل أحد أهم العوامل النفسية التى وضعها الشاعر نصب عينيه وهو يصوغ قصيدته .

وقال القرطاجني : " الشعر كلام موزون مقفًّى، من شأنه أن يُحبِّب إلى النفس ما قصد تَحبيبه إليها، ويُكرِّه إليها ما قصد تكريهه؛ لتُحمَل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حُسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهوته، أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب؛ فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس، إذا اقترَنت بحركتها الخيالية، قَوِي انفعالها وتأثُّرها"[٢] . ونراه هنا وهو يضع حدًّا للشعر وتعريفًا يكشف عن ماهيته ، فلا يكاد يخرج في تعريفه عن هذا الأثر النفسي الذي يحدثه الشعر في نفس السامع أو تلكم الدوافع التى حدت بالشاعر أن ينسج قصيدته من حب وبغض ومحاكاة وشهوة ، وكلها مضامين صاغتها النفس وخلّقها الضمير .

---

(١) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – ص١٧ .

(٢) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء –

خاتمة البحث

يرى بعض الأساتذة المعاصرين أن تفسيرات القدماء ذات المنزع النفسي في الأدب يشوبها شيء من القصور حيث لم تتضح بعد ملامح علم النفس، يقول الدكتور عثمان موافي : " ويبدو من استقراء جهود القدماء في هذه الناحية أن تناولهم للاتجاه النفسي لم يتجاوز في كثير من الأحيان حد الملاحظة النفسية أو وصف الظاهرة موضوع الدراسة أو بعض جوانبها ومن ثم فإنهم لم يعنوا بتحليل العمل الأدبي والكشف عن أبعاده النفسية أو تحليل شخصية الأديب أو المبدع أو شخصيات العمل الأدبي نفسه على نحو ما نرى في بعض الدراسات النقدية الحديثة التي أفادت من معطيات علم النفس ومناهجه وخاصة بعد ظهور كتاب تفسير الأحلام لفرويد"(١) .

ولكن بعد استقرائنا لهذا الكم الهائل من نصوص التراث نستطيع أن نجزم بأننا أمام منهج قديم شبه متكامل ، لا ينقصه فقط سوى من يجمع شتاته من بين طيات كتب التراث ليضع بها الإطار النهائي لهذا المكوَّن من تراثنا النقدي والأدبي والذي يمثل نواة صالحة للمنهج النفسيِّ .

لقد وجد رجال الأدب أنفسهم لا يكفون في تاريخهم الطويل عن الحديث عن قضايا نفسية ، فهم يتكلمون عن الخيال في تقليده واختراعه، وعن العاطفة في صدقها وباطلها واضطرامها وهدوئها، وعن الشخصية وظهورها أو عدم ظهورها في القصيدة أو الكتاب، وعن الرجل وصورته في الأسلوب، وعن القريحة وأثرها في تصوير الأفكار، وعن الحس وقوته في ضروب التشبيه والمجاز، وعن الذهن وجبروته في الغوص على عميق المعاني، وعن الشاعر وبيئته، وعن الكاتب وما حلل في رواياته من مختلف عقد الحياة، وعن أسباب إجادة شاعر في فن ما وذاك

(١) د/ عثمان موافي – مناهج النقد الأدبي – ص٤٦ .

في فن آخر، وعن الأحوال والظروف التي مر فيها منشئ الأدب، وما كان لها من أثر في نوع أسلوبه الكتابي، ولهجة خطابته، ونوع أوزانه وقوافيه[١] .

ويشفع للقدماء في مجهودهم هذا نظرتُهم للنوازع النفسية على أنها أحد العناصر التي يتكئ عليها الناقد في تفسير العمل الأدبي ، فهي أحد مكونات الناقد وليست المكون الوحيد ، ولا شك أنها نظرة متوازنة يحمد صاحبها عليها .

(١) د / محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – ص١٤ –١٥ .

المراجع

١- ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الجيل- الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.

٢- ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء – دار المدني – جدة – ط١ .

٣- ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) - الشعر والشعراء – دار الحديث، القاهرة – ١٤٢٣ ه

٤- أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) - سنن أبي داود – المحقق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي – دار الرسالة العالمية – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

٥- أبو زيد القرشي – جمهرة أشعار العرب – تحقيق علي محمد البجاوي – نهضة مصر – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ

٦- أبو هلال العسكري – الصناعتين – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العنصرية – بيروت – ١٤١٩ هـ .

٧- د/ إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط٤ – ١٩٨٣م .

٨- أرسطو – فن الشعر – ترجمة عبد الرحمن بدوي – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٥٣م .

٩- جمال الدين ابن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ

١٠- حازم القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق محمد الحبيب – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٤ – ٢٠٠٧م.

١١- د / حسن طبل – حول الإعجاز البلاغي للقرآن – مكتبة جزيرة الورد – المنصورة – ط١ – ٢٠٠٥م

١٢- د/ صلاح فضل – مناهج النقد الأدبي – ميريت للنشر والمعلومات – القاهرة – ط١ ٢٠٠٢م.

١٣- علي بن عبد العزيز الجرجاني- الوساطة بين المتنبي وخصومه- تحقيق علي محمد البجاوي – مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة- ط١- بدون تاريخ .
١٤- د / عثمان موافي – مناهج النقد الأدبي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ٢٠٠٣م .
عمرو بن بحر الجاحظ
١٥- البيان والتبيين – دار ومكتبة الهلال، بيروت – ١٤٢٣ هـ
١٦- الحيوان – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ – ١٤٢٤هـ
١٧- رسائل الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٦٤م
١٨- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري – صحيح البخاري – المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ
١٩- محمد خلف الله أحمد – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م .
٢٠- د/ كريم محمد صديق – حال المتكلم في الحديث النبوي – دار الأمل – الإسكندرية – ط١ – ٢٠٢٢م .
٢١- محمد دحروج – مناهج النقد الأدبي – دار البداية ناشرون وموزعون – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ
٢٢- د/ مصطفى سويف – الأسس النفسية للإبداع الفني – دار المعارف – مصر – ١٩٥١م .
٢٣- د/ يوسف وغليسي – مناهج النقد الأدبي – جسور للنشر والتوزيع – الجزائر – ط١ – ٢٠٠٧م .
٢٤- Eastern Art and literature – Sir E. Denison Ross- London-1928

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٤١٤
٢-	Abstract	٤٤١٥
٣-	المقدمة	٤٤١٦
٤-	بواكير التنظير للمنهج النفسي في الغرب	٤٤٢٠
٥-	أدباء ونقاد أفادوا من علم النفس	٤٤٢٣
٦-	روافد المنهج النفسي في تراثنا العربي	٤٤٢٦
٧-	خاتمة البحث	٤٤٥٠
٨-	المراجع	٤٤٥٢
٩-	فهرس الموضوعات	٤٤٥٤